ندوة علمية موسومة

الخلفية الكلامية للبلاغة العربية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية الآداب والحضارة الإسلامية

يوم: الأربعاء 02 جمادى الثانية 1446هـ الموافق:04 ديسمبر 2024 م

عنوان المداخلة:

التوجيه البلاغي بمقتضى المذهب الكلامي / مبحث الرؤية أنموذجا

The rhetorical guidance according to the theological school / The topic of vision as a model

د. عبد المطلب بوغرارة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة.
البريد الالكتروني: abourabab1400@gmail.com
البريد المهني: a.bougherara@univ-emir.dz

الملخص: هذه مداخلة فكرتها قائمة على بيان التوجيه البلاغي الذي استند إليه علماء الكلام في تبرير آراءهم العقدية، وقد وقع فيه الاختيار على قضية رؤية الله يوم القيامة، بين نفي المعتزلة وإثبات الأشاعرة وأهل السنة والجماعة، وفيها بيان للوجوه البلاغية التي كانت عونا لأهل الكلام في تقرير مذاهبهم من مراعاة المقام، والسياق، والحذف، والمجاز، والتشبيه ... ثم مناقشة لمدى صحة وخطأ الاستناد إلى هذه التوجيهات البلاغية.

الكلمات المفتاحية: أهل الكلام؛ التوجيه البلاغي؛ الأشاعرة؛ المعتزلة.

Summary:
This intervention is based on the rhetorical guidance that theologians relied upon to justify their doctrinal opinions. The focus is on the issue of seeing God on the Day of Judgment, contrasting the denial of the Mu'tazila with the affirmation of the Ash'ari and the Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah. It outlines the rhetorical aspects that aided the theologians in establishing their doctrines, considering the context, the setting, omission, metaphor, and simile... followed by a discussion on the validity and invalidity of relying on these rhetorical justifications.

Keywords: Scholars of creed; rhetorical guidance; Ash'aris; Mu'tazila..

المداخلة كاملة

مقدمة

من قضايا العلم الشائكة والشيقة قضية تداخل العلوم واشتراك المباحث العلمية في أكثر من علم لتجدها منثورة في علوم شتى، وإن قضايا اللغة العربية لا يكاد علمٌ يُغفل بحثها.

ومن تلكم العلوم علم الكلام، وقد اشتركت مدارس متنوعة في إثراء مباحثه ولعل أكثر المدارس إسهاما فيه مدرستي المعتزلة والأشاعرة ولم تجد المدرستين أطوع من اللغة في الانتصار لآرائها وذلك في كل مستويات اللغة؛ الدلالية والصرفية والنحوية والبلاغية لينتقي كل منهم ما ينتصر به لمذهبه العقدي ورأيه الكلامي ولذلك غصت مصنفاتهم بالقضايا اللغوية التي جعلوها تكأة لنصرة مذاهبهم.

وهذه مداخلة أعدت لبيان التوجيهات البلاغية التي ينزعها الجانب العقدي، وإشكاليتها الكبرى هي: ما مدى اعتماد علماء الكلام على البلاغة في توجيه الآراء الكلامية؟ كيف استند المعتزلة والأشاعرة على اللغة لتوجيه النصوص الشرعية؟ وأين تكمن الخطورة في التوجيه اللغوي للآراء العقدية؟ وكيف نقيم التوجيهات اللغوية بالمقتضى العقدي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات العلمية سنختار مسألة رؤية الله عز وجل يوم القيامة بين المعتزلة النافين لها والأشاعرة وأهل السنة المثبتين لها، وستنتظم هذه المداخلة في مباحث هي: قضايا البلاغة في مباحث الإلهيات عموما وفي قضية الرؤية على وجه الخصوص، والتوجيهات البلاغية بمقتضى المذهب الكلام من جهة السياق والمقام والحذف والمجاز المرسل والتشبيه والكناية

وفي خاتمة المداخلة بيان لأهم النتائج والتوصيات، والله ولي التوفيق

1-1: قضايا البلاغة في مباحث الإلهيات:

من أجل المباحث التي خاضت فيها الفرق الإسلامية مبحث الإلهيات والنظر في أسماء الله وصفاته، وقد طلب كل مذهب الدلائل لمذهبه، ولم تجد تلكم الفرق أطوع من الدليل اللغوي في الانتصار لآرائها، وقد اخترنا نماذج من التوجيهات اللغوية البلاغية التي استند إليها أرباب الفرق في نصرة مذاهبهم الكلامية، واستعمالها وسيلة لتصحيح أراءهم الكلامية.

ولا شك أن من أهم الفرق التي استغلت الدليل اللغوي في تبرير آرائها الكلامية هما فرقتي المعتزلة والأشاعرة اللتان تعدان أعرق الفرق الإسلامية وأكثرها إسهاما في علوم اللغة العربية بما قدمتا من أعلام ثقيلة الوزن في المجال اللغوي.

وكما أن علوم اللغة قد حظيت بالمصنفات المفردة في فنونها إلى أن جملة من المباحث اللغوية وجدت خارج تلكم المصنفات على غرار كتب أصول الفقه وكتب علم الكلام وكتب علوم القرآن وتفسير القرآن الكريم، فقد وجد فيها مباحث لغوية متنوعة استدعاها ثمت البحث العلمي، تارة على سبيل الأصالة كمباحث دلالات الألفاظ في الأصول، ومباحث الإعجاز في كتب العقائد وتارة أخرى على سبيل الاستطراد.

ومن المباحث الكلامية التي استدعت الدليل اللغوي مبحث الصفات الإلهية، وفي هذه المداخلة محاولة لإبراز هذا الجانب، وقد وقع الاختيار على "قضية الرؤية" أنموذجا للتطبيق على ذلك.

2-1:مسألة الرؤية

قضية رؤية لله سبحانه وتعالى قضية حاضرة بجلاء في تاريخ العقائد السماوية وقد كان لليهود موقف معهود مع نبيهم الكليم موسى عليه السلام في لقائه مع ربه سبحانه في الحادثة التي خلدها القرآن الكريم ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وفي سؤال بني إسرائيل رؤية الله عزوجل لما طلبوا من نبيهم رؤية الله جهرة: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ﴾ البقرة: [٥٥].

ولكن شتان بين طِلبة موسى عليه السلام التي كانت رغبا وأنسا بعد تكليم الله عز وجل له، وبين طِلبة بني إسرائيل التي كانت تعنتا وشقاقا!

ثم إنه لم تكن هذه الأمة بدعا من الأمم فقد وقع فيها الخلاف في قضايا أصول الدين وافترق الناس طرائق قددا نحلا شتى، ومن تلكم القضايا قضية الرؤية، وقد قام حولها خلاف كبير حتى صنفت فيها المصنفات[1].

والناس فيها بين مثبت ومؤول وناف، وعمدة المثبتين للرؤية ظواهر النصوص والمقتضيات العقلية الصحيحة، وأما المتأولين فتعلقوا بدليل اللغة وأصل التنزيه، والنفاة اتكأوا على عموم النصوص وبعض الآثار الضعيفة عن التابعين، وتوهمهم بأن إثبات الرؤية يستلزم الجسيمة والتشبيه.

فالمعتزلة: نفي الرؤية عندهم متصل بمبدأ التوحيد لديهم، فمن لم ينفها فهو معدود من المشبهة وخارج من دائرة الاعتزال، وقد ألف الجاحظ رسالته ***الرد على المشبهة*** وقد ضمنها مناظرة للمثبتين للرؤية ولقبهم بالمشبهة وأصحاب الرؤية واعتمد في نقاشه على النصوص القرآنية والآثار التفسيرية كما لم يستغن عن المسالك اللغوية[2].

وصاحب شرح الأصول الخمسة يقول: " ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية"[3]، ونقل صاحب مقالات الإسلاميين إجماع المعتزلة على ذلك فقال: " أجمعت المعتزلة على أن الله – سبحانه – لا يرى بالأبصار"[4]

ولأجل ذلك وجدنا الزمخشري في كشافه لا يترك مناسبة لمناقشة المثبتين إلا وبادرهم بالرد ففي أول مواضعها في البقرة في قصة بني إسرائيل قال: "وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادّهم القول وعرّفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال، وأن من استجاز على اللَّه الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض"[5]، ويبدو أن الزمخشري أخذه زهو الرأي حتى أنكر رؤية

---

1 – صنف الدارقطني: رؤية الله، ولابن النحاس كتاب رؤية الله كذلك، والقاق عنده فيه مجلس رؤية الله تعالى، والآجري له: التصديق بالنظر إلى الله تعالى

2 – يُنظر: رسالة الرد على المشبهة ضمن ما لم ينشر من تراث الجاحظ [ص: 9-22]

3 – شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ص 232

4 – مقالات الإسلاميين ت زرزور (1/ 131)

5 – الكشاف، للزمخشري [141/1]، وقد قال ابن المنير معترضا على إيراد الزمخشري في حاشيته: " لقد انتهز الزمخشري ما اعتقده فرصة من هذه الآية التي لا مطمع له عند التحقيق في التشبث بها، فبنى الأمر على أن العقوبة سببها طلب ما لا يجوز على اللَّه تعالى من الرؤية على ظنه، وأنى له ذلك وثم سبب ظاهر في العقوبة سوى ما ادعاه هو كل السبب. وذلك أن موسى عليه السلام لما علم جواز رؤيته تعالى طلبها في آية الأعراف في دار الدنيا، فأخبره اللَّه تعالى أنه لا يراه في الدنيا، وصار ذلك عنده وعند بنى إسرائيل أصلا مقرراً، كما هو عندنا الآن معاشر أهل السنة أن اللَّه تعالى لا يرى في دار الدنيا، لأنه أخبر أنه لا يرى والخبر واجب الصدق وكما أخبر أنه لا يرى في دار الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجل برؤيته في الدار الآخرة وتخصيص ذلك بالمؤمنين، وبعد استقرار هذا المعتقد طلب بنو إسرائيل الرؤية في الدنيا تعنتا أو شكا في الخبر، فأنزل اللَّه تعالى بهم تلك العقوبة. وكيف تخيل الزمخشري وشيعته أن موسى عليه السلام طلب من

الله لعباده أيضا وجمع بين نزغتين باطلتين قالت بها زائفة من القدرية يقولون إن الله لا يُرى ولا يَرى وقد صرح ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤][6]

وأما الأشاعرة إنهم يثبتون رؤية الله عزوجل في الآخرة ولكنهم يرون أنها تكون إلى غير جهة فرارا من إلزام المعتزلة بثبوتها لله بإثبات الرؤية لزوما.

ثم إن الأشاعرة ليسوا على في إثبات الرؤية فهذا الرازي مثلا مال عن مذهب الأشعري فهو يرى أن الرؤية واجبة سمعا من غير تفسير بمعنى أنه لا يراها جائزة عقلا وقد اقتدى في ذلك بمذهب أبي منصور الماتريدي

وأما أهل السنة والجماعة فيرونها حقا يوم القيامة وتكريما للمؤمنين بل هي أعظم النعيم وأنها تكزن إلى أشرف الجهات وهي جهة العلو كما جاءت بذلك نصوص الشريعة قرآنا وسنة، قال ابن القيم: " وإذا جاز أن يرى، فالرؤية المعقولة له عند جميع بني آدم، عربهم وعجمهم وتركهم وسائر طوائفهم، أن يكون المرئي مقابلا للرائي مواجها له بائنا عنه، لا تعقل الأمم رؤية غير ذلك، وإذا كانت الرؤية مستلزمة لمواجهة الرائي ومباينة المرئي لزم ضرورة أن يكون مرئيا له من فوقه أو من تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو خلفه أو أمامه، وقد دل النقل الصريح على أنهم إنما يرونه سبحانه من فوقهم، لا من تحتهم ... وقد ضحك جمهور العقلاء من القائلين بأن الرؤية تحصل من غير مواجهة المرئي ومباينته، وهذا رد لما هو مركوز في الفطر والعقول"[7]

ولما كانت الرؤية تقع بالحاسة، كما تقع بالعقل والفكر، نقل المتكلمون هذه المادة إلى خلافهم حول مسألة رؤية الله تعالى، وأولها كل منهما ووجهها حسب تأويله[8]

والذي يهمنا في هذه المداخلة هو الوقوف على المباحث اللغوية البلاغية التي أقامها أهل الكلام لإثبات الرؤية أو نفيها، فالمنزع واحد والأغراض متباينة، والدليل اللغوي عمل لدى الفرق عمل المنجد لها من ورطات المناظرات التي تعقدها للمنافحة على آرائها الكلامية.

اللَّه ما لا يجوز عليه. وهل هو لو كان الأمر على ما تخيل إلا كبني إسرائيل. ومعاذ اللَّه، لقد برأه من ذلك وكان عند اللَّه وجيها.

وأما الأدلة العقلية على جواز رؤيته تعالى عقلا والسمعية على وقوعها في الدار الآخرة، فأكثر من أن تحصى وهي مستقصاه في فن الكلام. وإنما غرضنا في هذا الباب مباحثة الزمخشري والرد عليه من حيث يتمسك على ظنه وأخذه قوما منه. واللَّه الموفق.

6 – تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 334)

7 – مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية (ص: 210).

8 – الدليل اللغوي بين المعتزلة والأشاعرة، جمال حسين أمين، ص 353

دلالة السياق:

فهذا الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ﴾ [السجدة: ١٠]، قال: (لقاء ربهم): هو الوصول إلى العاقبة، من تلقى ملك الموت وما وراءه، فلما ذكر كفرهم بالإنشاء، أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر، وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة، لا بالإنشاء وحده: ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء، وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا)[9] فأبى أن يثبت لازم اللقاء وهو الرؤية وتأول ذلك بدلالة السياق.

دلالة المقام:

في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال الزمخشري: (ما كان طلب الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا. وتبرأ من فعلهم، وليلقمهم الحجر، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق، فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا: لا بدَّ، ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك، وهو قوله لَنْ تَرانِي ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة)[10].

فالزمخشري يفترض أن المقام مقام تعليمي فقط، حيث إن هذا الطلب عنده يمتنع صدوره من نبي، لذا جعله للافتراض والاختبار، ليُعلِم موسى عليه السلام قومه بامتناع الرؤية، وليس هو طلبا منه على وجه الحقيقة، فوظف دلالة المقام في تأويل معنى الطلب.

الحذف:

في قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، قال الزمخشري "وقيل: هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة. وقيل: سلام الملائكة عند الخروج من القبور. وقيل: عند دخول الجنة، كما قال ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ ﴾ [الرعد: ٢٣] [11].

فانظر كيف تكلف الزمخشري تقدير محذوف يتناسب مع اعتزاليته معرضا عن تركيب الآية، ومتجاهلا للضمير في قوله تعالى (يلقونه) الذي لا يسمح السياق بعودته إلا على جناب الرب سبحانه وتعالى.

المجاز المرسل:

---

9 – تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 509)

10 – المصدر نفسه، (2/ 153)

11 – المصدر نفسه، (3/ 546)

عند قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ [الفرقان: ٢١]، قال الزمخشري: (جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا)[12].

فأنت ترى كيف جعله من قبيل المجاز المرسل، حيث رأى أنه تعالى ذكر اللقاء وأراد الجزاء والعلاقة السببية، لأن اللقاء سبب نيل الجزاء[13]

الكناية:

في قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٌۚ ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، قال الزمخشري: "فأنزلت تَحِيَّتُهُمْ من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: يحيون يوم لقائه بسلام، فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم، كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم، وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا)[14].

التشبيه

في قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [المطففين: ١٥]، وكونهم محجوبين عنه: تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم. قال:

إذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا ... والنّاس من بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة: محجوبين عن رحمته. وعن ابن كيسان)[15]

قال ابن المنير مستدركا معقبا على تحريف الزمخشري: (هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية، فإن الله تعالى لما خص الفجار بالحجاب دل على أن المؤمنين الأبرار مرفوع عنهم الحجاب، ولا معنى لرفع الحجاب إلا الإدراك بالعين، وإلا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال، هذا هو الحق وما بعد الحق إلا الضلال، وما أرى من جحد الرؤية المدلول عليها بقواطع الكتاب والسنة يحظى بها، والله المسئول في العصمة)

فالأشاعرة تعلقوا في مسألة الرؤية بهذه الآية وذكروا أن ذكر الحجاب في إذلال الأشقياء أشعر ذلك بنقيضه في السعادة، أما المعتزلة فقد تعلق هنا بأصله في وجوب إثابة المحسن، ووجوب معاقبة المسيء

اللف والنشر:

لم تخلو منازع الاستدلال عند المعتزلة والشاعرة من قضايا البديع وقد ورد منها في قوله تعالى ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

---

12 – تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 272)

13 – الأسس اللغوية لتأويل نصوص العقيدة، محمد شلبي ص 151

14 – تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 546)

15 – المصدر نفسه، (4/ 722)

وهذه الآية كانت مستمسكا قويا للمعتزلة في نفي الرؤية لذلك يقول الزمخشري في تأويل الآية: (البصر: هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر، به تدرك المبصرات.

فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنه متعال أن يكون مبصراً في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا، كالأجسام والهيئات)[16]

وجاء البيضاوي الأشعري ليعترض على هذا التوجيه بقوله: (واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف، إذ ليس الإدراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاماً في الأوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الأشخاص، فإنه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع أن النفي لا يوجب الامتناع. وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ يحيط علمه بها. وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فيدرك ما لا تدركه الأبصار كالأبصار، ويجوز أن يكون من باب اللف أي لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير، فيكون اللطيف مستعاراً من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها)[17].

وليس اللف والنشر في التفسير أساسا في الخلاف في الخلاف بين الفريقين أو من أدلة أحدهما وإنما جاء ضمن توجيه القول في الرد على المعتزلة في نفي الرؤية.

مباحث لغوية أخرى:

معاني الحروف [توظيف دلالة الحرف لن]

فإن قلت: ما معنى لَنْ؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه «لا» وذلك أن «لا» تنفى المستقبل. تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً. والمعنى: أنّ فعله ينافي حالي، كقوله لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ فقوله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ نفى للرؤية فيما يستقبل. ولن تراني تأكيد وبيان، لأنّ المنفي مناف لصفاته)[18]

ويبدو أن الخلل وقع من النفاة في سوء فهم مراد النحاة من التأبيد في "لن"، إذ المراد ليس كون المنفي ممتنعا بالذات، بل لكونه غير واقع، وفرق بين نفي الوقوع ونفي الإمكان، فإن نفي الوقوع قد يكون مستندا إلى الاستحالة الذاتية، ثم إن المراد من التأبيد هو النفي القاطع وهذا قد يكون غير محدد بشيء، وربما يكون محددا بظرف خاص فيكون معنى التأبيد بقاء حالة النفي ما دام الظرف باقيا[19]

الدلالة المعجمية

16 – تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 54)

17 – تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (2/ 176)

18 – تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 154)

19 – ينظر: الدليل اللغوي بين المعتزلة والأشاعرة، جمال حسين أمين، ص: 211-212

أورد الزمخشري في تفسيره لاسم الله سبحانه وتعالى، الباطن قوله: (وَالْباطِنُ لكونه غير مدرك بالحواس)[20]، فالزمخشري لا يلتفت إلى التفسير النبوي الوارد لاسمي الظاهر والباطن ومفاده أن الظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء، ولكن الزمخشري يرى أن "الباطن": ما بطن فاحتجب، والأمر عنده ملحق بدلالة النفي "لن" على النفي[21]

وفي قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، فإن الزمخشري يرى معنى إلى رَبِّها ناظِرَةٌ أي: تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، ... فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه: محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء. ومنه قول القائل:

وإذا نظرت إليك من ملك ... والبحر دونك زدتني نعما

قال: وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون إلى مقائلهم. تقول: عيينتى نويظرة إلى الله وإليكم، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه)[22]، فتأمل كيف ذكر معنى "ناظر" المفيد للتوقع والرجاء معدىً بـ "إلى" واقع في كلامهم، وجاء ببيت مجهول القائل، ودعاء مستجدية سمعها بمكة

ورد على الزمخشري بأن الانتظار لا يُسند إلى الوجه، وأن المستعمل بمعناه لا يعدى بـ "إلى"

العلاقات النحوية

في حكاية القرآن الكريم مقالة بني إسرائيل لما قالوا ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣]، قال الزمخشري: فلوا طلبوا أمرا جائزا لما ظلَموا ولا صعقوا كما طلب إبراهيم إحياء الموتى، فما ظلم ولا صعق)[23]، فانظر كيف الصاعقة مقام جواب الاشتراط فاستدل بكون العاقبة نتيجة للطلب على امتناع الرؤية، حيث إن النتيجة ملائمة للمقدمة[24]

---

20 – تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 472)

21 – الأسس اللغوية لتأويل نصوص العقيدة، محمد شلبي، ص: 150

22 – تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، (4/ 662)

23 – المنهاج في أصول الدين، تحقيق: سابينا شميدكه، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى: 2007م/1428هـ، ص 17

24 – ينظر الأسس اللغوية لتأويل نصوص العقيدة، ص 152

خاتمة

وفي ختام هذه المداخلة نخلص إلى جملة من النتائج والتوصيات أهمها:

النتائج:

1- أن أهل الكلام دوما يستنجدون بالثقافة اللغوية بتحليل القواعد وتأويلها تأويلا معمقا ينفذ إلى اللفظ والمعنى لنصرة المذهب الكلامي وإن لم يكن وجب التأويل بكل وسيلة متاحة ولن يوجد أطوع من اللغة في نصرة المذاهب الكلامية

2- حشد الآيات القرآنية لتأييد الرأي الكلامي والقرآن حمال وجوه كما وصفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والتوسع في تطويع اللغة للرأي العقدي، اللغة واسعة الاستعمال مطواعة القياد.

3- طلاوة اللفظ وبهجة الأسلوب المنمق والهدف منه التأثير على الجمهور ليحصل لهم برد اليقين بالرأي العقدي لكل نحلة.

4- إخضاع النصوص للمذهب الكلامي عند المعتزلة إلى حد التعسف والتحكم.

التوصيات:

1- توسيع دائرة البحث في قضايا عقدية أخري كقضية الكلام وقضية التحسين والتقبيح العقليين، وقضية صاحب الكبيرة، ونحوها من قضايا الخلاف العقدي بين مدرستي المعتزلة والأشاعرة.

2- توسيع التوجيهات اللغوية إلى المجالات الأخرى: المعجمية، الصرفية، النحوية

3- دراسة التوجيهات اللغوية عند أعلام معينين كالجاحظ، والقاضي عبد الجبار، والماوردي، وأبي الحسن الأشعري، والباقلاني، ...

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. الجانب الاعتزالي عند الجاحظ، بلقاسم الغالي، دار ابن حزم بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1999م/ 1420 هـ.
2. الدليل اللغوي بين المعتزلة والأشاعرة، جمال حسين أمين، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى: 2012م/1433هـ
3. الأسس اللغوية لتأويل نصوص العقيدة بين الزمخشري والرازي عرض ونقد، محمد شلبي محم، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى 2020م/1441 هـ.
4. ما لم ينش ر من تراث الجاحظ – رسالة الرد على المشبهة، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق حاتم الضامن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام- الجمهورية العراقية، 1979م.
5. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
6. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شمس الدين ابن قيم الجوزية ، اختصره: ابن الموصلي، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
7. المنهاج في أصول الدين، تحقيق: سابينا شميدكه، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى: 2007م/1428هـ.
8. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.
9. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
10. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996م/1416هـ.
11.